



## البعد السادس وفلسفة إيقاع النوى لـ"رمية زهر" و"لعبة الأقنعة"

إسماعيل إبراهيم عبد/العراق

الأزلي، وكم هي تافهة الأيام التي نزرع فيها الكره والتنافس غير المجدي. لكن اللعبة (هذه) تكرر امتدادها ولن تكون متشابهة لكونها لعبة التاريخ والجغرافية والنفوس والفكر، لذا فمن الأجدر أن تكون مصاغَةً بفن مقنع وتعبير بمؤدّي حَسَن، وصياغة منضّمة إلى نوع. لأجل هذا كله اختار الكاتب للأقنعة فنّاً يليق بمتبارين جادين، متنافسين أذكيا و ذلك من خلال "أحادية البُعد السادس" و"نوى الإيقاع وفلسفة الأمانى".

### أحادية البُعد السادس

لعلّ الأبعاد الأربعة صارت بلا فائدة علمية يقينية، فالطول والعرض والارتفاع والزمن

لعلّ من مفاجآت الكاتب لؤي عبدالإله وطرافة تنوّعه المعرفي أن تكون بعض القصص مقولات سردية تنتمي إلى فطرة القَصّ المصنوعة ولعبة المتعة الذهليّة في قصصه ضمن مجموعتيه "رمية زهر" و"لعبة الأقنعة"، فهي:

- تميل إلى عدم وجود نهاية حدّية تعلق باب السرد وتفتح باب التأويل.

- سردها حُرّ شبيه بسيناريوهات لذاكرة غير مقيّدة بزمان ولا مكان ولا صور موحدة.

- يخلو سردها من الحكاية النمطيّة والاكتفاء بموحياتها المتخيّلة لدى القارئ الافتراضي.

هكذا يؤلّب الكاتب وعينا ويصدمه، فهو يعرف كم الإنسان ضئيل أمام ضخامة الكون كرمية زهر، وأنّ عمره جدّ قصير بالقياس إلى الوجود

إنما هو واحدة من غفلات السرد التي استثمرها القاص لؤي عبد الإله بأن جعل للزمن أحادية معكوسة، أي أنه أعطى الزمن عودة دائمة ليس للتغير الحركي، إنما للتغير المنطقي بأن أعاد للفهم قضية النبوءة المتيقنة من توصل الإنسان إلى معرفة أحداث المستقبل قبل الموت وأحداثه بعد الموت، فيعتقد بقوة عقلية جديدة ستضاف إلى الإنسان بحيث سيتحكم برغبته بالموت، أي يموت عندما يرغب، ويعرف ما سيقع له قبل الموت ويعدّه.

أنا أرى أحادية هذه النظرة المتفردة بإضافة جديدة، إذ أعتقد -بما يشبه اليقين- أنه لا وجود لموت نهائي مطلق، فأحس بأن خلية واحدة تبقى لا تموت هي التي ستعيد بعث الجسد مثل أي خلية مخصبة داخل رحم أو مختبر. سأترك رؤيتي الفلسفية بالعودة إلى القصة لأضع لنا مبرراً يوجه إلى أحادية البعد السادس بأن نصوصه على هيئة سردية لست قيامات نصية، هي:

**1 - قيامة الاتساع المتماثل:** ويتمتع عبره البشر والكون بنزوع متقابل لما يستجلي الزمن خارج المقاس العلمي، الملموس أو المحسوس، تتمثل روحانيته بمواصفات النص الآتي: "هل كان ممكناً، أن يكف (جنكيز خان)، يوماً، عن توسيع إمبراطوريته، أو (روكفلر) عن زيادة ثروته؟. سأطلق على هذا المنحى: غريزة الاتساع... كم يبدو التماثل غريباً بين الكون الأصغر: الإنسان، وبين الكون في كليته.



ليست بكافية لتكون مؤولاً يقينياً لكل شيء. إذاً، بماذا سيحدد البعد الباراسيكولوجي مثلاً، وبأية وسيلة تقاس قوة خيال وخصوصية الرؤى، ودرجة الاستشعار الآتية، ولذة الحس الذوقي للجمال، وجودة الفن الكلية أو القصوى؟  
والحق أننا سنهتم بالبعد السادس على أساس أن البعد الخامس هو البعد الجمالي كونه بُعداً صناعياً صياغياً علمياً وجدانياً.

أما البعد السادس فهو محور اشتغالنا الآن في قصة العودة الأبدية) من مجموعة (رمية زهر)\* للكاتب لؤي عبد الإله (رمية زهر، ص 17-22). هذا البعد -كما أرى- له سمات لا اشتراطات، بمعنى أنه يحد ولا يتحدّد تماماً، يعين، لا يقيد! ويتوضيح أقرب إلى الدخول العملي في التطبيق، أقول:

إنّ سمة هذا البعد أنه ليس رقماً ولا رقمياً،



كإيقاعات كونية حلزونية: "كم بدت تلك الثواني لا نهائية في استطلااتها، حيث انغرز كل شيء بلا حراك، داخل أحشاء حلزون عملاق، لكن ارتجاجاً مفاجئاً له، دفع بالدماء ثانية للجريان في عروق المخلوقات: ها هو الحلزون ينطلق ثانية في حركة بطيئة، مترججة تنتظم بشكل تدريجي، حتى يتلاشى الشعور بها".

**3 - قيامة الاتجاهات المقلوبة:** وفيها تصوير حركة عقربي الساعة مقلوبة ودقات الساعة تشير إلى تناقص الوقت: "تسقط العصاة عن عيني، لأول مرة، ليواجهني مشهد المدينة التي لم أرها من قبل: ها هي الساعة المعلقة على قمة برجها، ترمي بدقائقها العشر الصاخبة بانتظام، وأمام حشد هائل من المارة، راح العقربان يتحركان باتجاه مقلوب... تنافسهما الأبنية المهدمة في

في كتابه (التاريخ المختصر للزمن)، يجري (ستيفن هوكنج) مقارنة بين الزمن السيكلوجي والزمن الكوني، عبر افتراض لا يلبث أن يتراجع عنه: الإنسان يتذكر الماضي فقط ولا يعرف شيئاً عن المستقبل، وهذا راجع إلى حركة الكون الانبساطية، لكن عند بدء مرحلة الانقباض، الذي سيعقب توقف الكون عن الامتداد ستتغير المعادلة تمامًا: الإنسان يبدأ بتذكر مستقبله فقط، أما ماضيه فلن يعرف عنه شيئاً.

فجأة ارتفع أزيز عارم... أطبق سكون مطلق على الملجأ، حتى الهواء تحول إلى جليد لا مرئي وبين خلايا جسدي استقرّ شلل كامل".

**2 - قيامة الاستطالة اللانهائية:** تترتب هذه القيامة من امتداد لا محدود للزمن والمرئيات وتتحكم بالاستطالة قوّتا الموت والحياة

**6 - قيامة الانقباض:** وهي ذات أركان ثلاثة، تقلص الكون، اختفاء الجاذبية الأرضية، التبعض الشامل: "فاتني أن أذكر استدراك (ستيفن هوكنج)، عن لحظة انقباض الكون؛ آنذاك... ستختفي الجاذبية التي تحكم بقاء الأجسام على سطح الأرض، مما يجعلها تندفع كسطايا انفجار بركاني صوب فضاء غارق في فوضاه وهلاميته، ولن تتاح فرصة للإنسان حتى بوضع خطوة واحدة في رحلته المقلوبة عبر تيار الزمن الخيالي".

#### نوى الإيقاع وفلسفة الأمانى

يرتبط الإيقاع السردي لقصص (لعبة الأفعنة)\*\* بتكرار المظهر والمضمون بتغيرات دلالية مستمرة، كل تغير يمثل واحدة من النوى المتخصصة بالإيقاع السردي. سنكتفي باستثمار قصة واحدة، نجدها مستوفية بدرجة (معقولة- شبه متكاملة)، لشروط الإيقاع السردي كونه لازماً تُغيّر فعلها بين مرحلة وأخرى دون تغير كبير في مظهرها.

#### أ- نماذج نوى لازمات الإيقاع

لنا أن نفرق بين اللزمات الإيقاعية من طرف تمظهر نويتها في السلوك السردي لنص القص في قصة "قبضتان" من مجموعة "لعبة الأفعنة" (ص50-60).

لعلنا سنحط إشارتنا الأولية عند/

(قبضتان) = تكرار الواحد/ أرى أن القبضة الأولى تمثل الضعف البشري التي أخص بها كاتب القصة البطل الرجل. أما القبضة الثانية

حركتها صوب ما كانت عليه من بهاء وتناسق".  
**4- قيامة البواكير:** هي قيامة تخص عودة الأشياء والكائنات الغائبة ممّن شكّلوا عفوية الجمال ومتعته لا قوانينه؛ قيامة لنهوض الموتى، ومجيء العافية وتراكم السعادة بلا حدود تاريخية أو اجتماعية: "كان العالم من حولي في حركة دؤوب للعودة إلى بداية البواكير:

الخل المكموخ في الدنان يتحول إلى نبيذ مترقرق، الجلود المسلوخة نفلت من اكتاف المارة هاربة صوب الغابة، لتعود ثانية في هيئة دبية ونمور حيّة، وفي بيتي التقيت، دون دهشه بأمي التي عادت من المقبرة، بعد مكوثها هناك زمناً طويلاً، ولم تشي ملامحها إلا بالصحة والابتهاج، وكأنها لا تتذكر المرة الأخيرة التي اجتازت عتبة بيتي غاضبة عليّ وعلى زوجتي، حالفة أنها لن تعود أبداً لزيارتي".

**5 - قيامة العلائق اللامنطقية:** في حدود هذه القيامة لا وجود للمنطق الفلسفي أو العلمي، فلا أسباب تربط النتائج، ولا العكس، فستكون النتائج مظاهر، لا غير، لسلوك (ما)، والأسباب حصائل لاختيارات لا قرارات "في هذا العالم المتسارع صوب البدء، تنقلب العلاقات بين الأسباب والنتائج؛ بدلاً من الاحتراق في حمى الندم، على الاختيارات التي دفعتني صوب أوضاع بعيدة عما كنت أتوق إليه. ها أنا ذا أغرق في متعة مراقبة الأسباب، مخلقاً ورائي النتائج، التي ما انفكت تتساقط واحدة بعد الأخرى؛ في عربة العودة إلى النطفة".

**خطوات" على الأنماط الدلالية الآتية:**

- دلالة الفهم والندم: "كأنَّ جسدي المتماس مع جسدها ليس سوى جثة، أو أقل منها، فالجثة تترك أثرًا ما على مَنْ يجاورها: خوفًا، قرعًا، اشمئزًا، أما جسدي فهو فراغ، فراغ لا يترك كالسابق تلك القشعريرة على بشرتها حين تداعب أناملي كتفها العاري فتنتفض خلاياها بين أصابعي وتتصاعد أنفاسها الدافئة نداء خفيًا لشدها إلى صدري. لم تكن سوى أربع خطوات".

- دلالة التسامح: "ها نحن أخيرًا نخرج من أسر السرير الوثير، تكاد أقدامنا لا تلامس الأرض في خطواتنا... وعند عبورنا نهر التيمز قالت (رجاء): "يشبه دجلة.. لكن الماء أكثر" لم تكن سوى أربع خطوات".

- **دلالة الإقناع:** "لم تراودني فكرة حتى للحظة واحدة أنني سأكون واحدًا منهم بعد العرض. كنتُ أظن أننا محظوظان لحصولنا على آخر تذكرتين متوافرتين، وكم كنتُ على صواب! لو أننا تأخرنا دقيقة على المسرح لتغير مسار الأحداث تمامًا، إذ لعدنا إلى الفندق في ساعة مبكرة، ولكننا الآن.. لم تكن سوى أربع خطوات".

- **دلالة الاحترام:** الدلالة المقصودة تتمرأى كقيمة لتقديس واحترام الجسد والنفس، ما لهما وما عليهما، وما سيفيض منهما إلى خارج حدودهما، وهنا لا نقصد البشر فقط، إنما الموجودات التي أهانها ابتعاد البطلين عن الفندق قبل الدخول بـ(أربع خطوات) عن ملجأ الأمان والاحترام والأمن الجسدي والروحي:

فهي قبضة القوة التي بها تتم جرائم الاعتداء والبغض والطرده والسرقة...إلخ.. (ولم تكن سوى أربع خطوات) تفرعت إلى أربع خطى -باستثناء المفتاح- مما يعني أنها -هنا- تسببت بوجود دلالات وتقانات تخص تنميط (الإيقاعية) -الرباعية خاصة- في قصة (قبضتان).

(رجاء)، استثمرت كلمة رجاء كاسم لفتاة وللترجي ولغيرهما. (البقعة والنقطة)، لازمة تتفاوت استثماراتها بين الضوء والظلمة والعتمة ونقيضها، أما النقطة فقد أتمَّ الكاتبُ تنميطها بأن جعل وظيفتها تكميلية في تصغير البقعة، أسفًا أو احتقارًا.

**ب - البيئات الدلالية للآزمات الإيقاعية**

في هذه الموضوعة سنبين تطبيقًا إجرائيًا يخص التَّعْيِيرُ الدلالي للمظهر الكتابي لنص أو الشبيه به، بها سنميز خطوات التطور الدلالي لكل مفردة (معنى) يخص العلاقات الدلالية التي تنبناها إجرائيًا بحسب الآتي:

**1 - "قبضتان":** تضمنت مضميرين راجحين للبيئة (الجن والقوة) لفائضين عنهما/ (الحياة الضعيفة لجسدي الفتى والفتاة بعد الاعتداء عليهما، الموت بالانتحار للفتى وعدم تقبله إهانة الجسد والروح بقوة غاشمة رعناء لشباب سكارى. "دوار يجتاحني... تتراخي أصابعي... عاصفة تجرفني... أهوي على ظهري، سقوط حر متباطئ يجري صوب الهاوية، وحال ارتطام جسدي بها، يطبق صمت اللحظة: هل النهاية هكذا؟".

**2 - تضمنت إيقاعية "لم تكن سوى أربع**



(يخترق سمعي زعيق سيارة شرطة من الطرف البعيد للمدينة، يعيدني مرة أخرى إلى ما حدث في تلك البقعة أو بالأحرى في الثقب الأسود ذاك)=  
بؤرة الحظ السيئ= وخزة إبرة الاعتداء الأثم=  
حالة العبور إلى العدم الكوني لظلمة الثقب السوداء للمجرات الأبعد غورًا في سماء الأرواح والموجودات الخالدة الأبدية.

(من فوق الحاجز الفاصل بين الشرفة والفضاء أستطيع بسهولة العثور على تلك البقعة المظلمة... من الطابق الخامس تبدو مكشوفة تمامًا)= المصير المنتظر= الهاوية= النهاية المختارة. (لا بد أن شجرة السنديان تلك هي التي مكنتهم من الاختفاء وراءها، وهي التي استدرجتنا إلى عتمة ظلها)= إشراك الشجرة بجريمة الاعتداء عبر ستر واخفاء المعتدين ببقعة عتمة ظلها. (أتحسس حافة الحاجز المعدني المبلل. لن يستغرق بلوغي إلى النقطة المضاءة من فناء الفندق أكثر من خمس ثوان: نفس زمن تلك القبضة أمامي)= بقعة نور الداخل= اتخاذ قرار الانتحار= لحظة تصوّر حجم الاعتداء= الانتحار بالجبن والشجاعة ■

\* لؤي عبدالإله، قصص رمية زهر، قصة العودة الأبدية، دار دلمون الجديدة، سوريا، ط2، 2017، ص17، ط1، دار المدى، دمشق، 1999.  
\*\* لؤي عبدالإله، قصص لعبة الأقفعة، دار دلمون الجديدة، سوريا، 2017.



”يشق البرق عتمة السماء متبوعًا برعدة واهية... ها أنا ذا أسبح بشلاله المتواصل، دون شعور بأن المتضرر هو جسدي... تحضرنى رغبة العودة إلى السرير، لكن صورتي الفراش المبتل وعيني (رجاء) الممتعضتين تردعاني بشدة. كم سيكون رد فعلها مختلفًا لو أن ما يحدث الآن قد وقع أمس.

لم تكن سوى أربع خطوات. ونحن نقترّب من الشجرة... كانوا ثلاثة وربعمهم كان وراءنا يراقب الشارع... لم يبق أمامنا سوى التراجع خطوتين ثم الانحراف يسارًا- (بخطوتين) لندخل في فناء الفندق، حيث الأضواء الساطعة، وحيث الأمان المطلق؟“.

**3 - البقعة والنقطة:** لقد انتظمتا بدلالات مختلفة تخلخل عبرها علائق المضمون لتبين التغيير والاضطراب الذي قد يكون سبب انتحار العريس الزوج بعد جنبه وامتناعه عن مقاومة المعتدين عليهما. (أما جسدي فهو فراغ)= بقعة من اللا شيء = العدم